احمد تيمور باشا –
ظهور الجمل في شمالي افريقية

احمد تيمور باشا

انجبت مجلة الزهراء سنة كاملة ، ثم ظهرت مؤخراً وضمت بنشرة واحدة الجزءين السابع والثامن الى مجلدها الخامس . فرحباً بالزميلة وها انا نأخذ منها باختصار (ص ٥٥٦) ترجمة فقيد العربية احمد تيمور باشا ، رحمه الله .

اصل الاسرة التيمورية من بلاد الكرد ، منبت صلاح الدين الايوبي . اول من وفد منها الى مصر تيمور كاشف من رجال دولة محمد علي ، وابنه محمد تيمور وحفيده اسماعيل والد المترجم له .

ولد احمد تيمور في القاهرة سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م.) تلقن مبادئ العربية والافرنسية والتركية وشيئاً من الفارسية في داره ، ثم دخل مدرسة مارسيل الافرنسية ودرس على الشيخ حسن الطويل († ١٣١٧ = ١٨٩٩) والشيخ رضوان محمد المخللاتي . واتصل بالصداقة بمحمود باشا البارودي ، واسماعيل صبري باشا ، والشيخ محمد عبده ، والعلامة الشنقيطي († ١٣٢٢ = ١٩٠٤) وطاهر الجزائري . فقد زوجه وهو شاب فآلى على نفسه ان لا يرزأ اولاده بعد امهم بمن لا يجدون عندها مثل عطف امهم التي كانت من افضل النساء واكرمهن حسناً وتهذيباً . وفي الثانية والثلاثين من عمره فقد اخته السيدة عائشة تيمور الشاعرة ، ووالدته ، وكان ذلك في شهر واحد . فزهد في الدنيا واباطيلها وانقطع الى العلم والتدين ، وسعى في سبيل اصلاح احوال المسلمين .

فكان يرى الخطر الاعظم عليهم آتياً منهم ، اي بجمود المشايخ وعجزهم من اخذ دفة السفينة بايديهم.

وله مؤلفات عدة كلها مخطوطة ، الا بعض المقالات نشرها في المجلات العربية ، واليك عناوين اهم مؤلفاته:

معجم اللغة العربية — اعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر — تراجم المهندسين العرب — ذيل طبقات الاطباء — التصوير عند العرب — مفتاح الخزانة — نقد القسم التاريخي من دائرة معارف فريد وجدي — حياة ابي العلاء المعري وعقيدته — الحلقة المفقودة من تاريخ مصر — لعب العرب — البرقيات — الآثار النبوية — فهرس مكتبته — معجم الفوائد.

واليك ما طبع من مؤلفاته :

نظرة تاريخية في حدوث انتشار المذاهب الاربعة — قبر الامام السيوطي — اليزيدية ومنشأ نحلتهم — تاريخ العلم العثماني — تصحيح القاموس المحيط — تصحيح لسان العرب.

وقد يخلد ذكر تيمور باشا على الخصوص مكتبته وفيها نحو ثلاثة عشر الف كتاب نصفها مخطوط او مصوّر بالفوطوغراف ، ونصفها مطبوع.

ظهور الجمل في شمالي افريقية

الجمل سفينة الصحراء ، حامل الاحمال وقاطع المراحل الطوال ، بحث الاثريون على اصله في بلاد افريقية الشمالية ، وراجم اس عدم وجود آثاره في وادي النيل الا من عهد غير عريق في القدم . فذهب بعضهم الى القول ان الجمل لم ينشأ في افريقية ، بل هو هدية اهدته آسية الى شقيقتها عن طريق بلاد سيناء ، لما اجتازها كامبيس ملك الفرس ، وحمل على مصر وفتحها سنة ٥٢٥ قبل المسيح . وتناول الدكتور اوهدن هذا الرأي وامعن فيه النظر وعلق عليه تعليقات وفوائد في مجموعة بترمن الجغرافية الالمانية (١٩٣٩ : ٣٠٧) ومقاله جدير بلفت الانظار لانه يكشف لنا عن الجهود الفائقة التي يبذلها المستشرقون في البحث على دقائق الامور التي يتوقف على معرفتها مصادر تاريخنا القديم ويرينا اسلوب المناقشة العلمية في موضعه قال :

اذا ما نظرنا الى حركة النقل والتجارة في مصر قبل الفتح الفارسي ، والى ما بلغنا عن معرفة المصريين احوال البلاد ، لا يسعنا الا ان نشك بصدق

القائلين ان الجمل لم يكن معروفاً قبل القرن السادس ق. م. ولا بد ان يكون المصريون قد انتبهوا الى الخدمات التي يؤديها هذا الحيوان فضلاً عن انه لدينا من الآثار الدالة على انهم قد عرفوا الجمل.

وروى صاحب المقال تلك الادلة عن المؤلف شوينفورث وهذه هي :

١) عثروا في وادي ابي عجاج بالقرب من اصوان على تمثال جمل مع صاحبه وعليه كتابة منقوشة يرقى عهدها ، على رأي «مولر» ، الى السلالة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق. م.) وفيها شهادة صريحة على ان حركة التجارة كانت رائجة مع بونت.

٢) تمثال جمال من وادي حمامات يرقى عهده الى السلالة الحادية عشرة (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق. م.) على رأي غولنيشف ، وهو من البلاد الممتدة بين مقاطعة ثيبة والبحر الاحمر على الطريق التجارية القديمة.

٣) اكتشف مولر في قبر يرقى عهده الى السلالة الاولى (نحو ٣٠٠٠ ق.م.) بالقرب من ابو صير الملك على اناء كلسي يمثل ابلاً باركة.

٤) رأس جمل من حجر اكتشفه فيلندر بتري في مقلع الحجارة بالقرب من ابيدوس.

٥) لوح من العاج قديم جداً ابتاعه شيابارلي في الاقصر وعليه صورة انسان يقود جملاً.

وانه من الممكن ان تكون القطع الثلاث الاخيرة قد نقلت الى مقرها من غير بلاد. وفعلاً ، لقد ثبت ذلك في ما خصّ اناء ابو صد. على ان التماثيل المنقوشة في الصخور تؤدي البراهين الكافية على وجود الجمل قديماً في مصر . وقد ثبت وجوده ايضاً في غير ذلك من الامكنة ولكن من غير تاريخ.

وفي البلاد الواقعة على الحدود بين مصر والسودان ، عثر ليتان دي بلفون ، شرقي عتبي في وادي ميسا ، على آثار جمال وبقر ؛ وفي وادي بيضاء على صور جمال مشوهة وخيل للركوب وكتابات غير هيروغليفية ؛ وفي وادي مرة في بادية النوبة ، على منتصف الطريق بين كوروسكو وابي حامد وُجدت تصاوير منقوشة في الصخور ، راق عهدها الى زمان غير حديث ، وعليها رسوم

خيل وجمال وغير ذلك ، ذكرها لبسيوس وقال فيها انها ليست من نوادر المكتشفات في بلاد النوبة .

اما الكتابة العربية التي وُجدت ، ثم مُحيت ، فقد عثر عليها نتيغال بالقرب من ام مشانة في دارفور وعليها تصاوير الخيل والنعامات والابل . فهي حديثة العهد . وجديرة بلفت النظر اقوال نتيغال في الرسوم الصخرية الواقعة في داخل بلاد التبستي في مسافة ثلاثة ايام عن تادو لانها تناقض رأي هنري بارت . تلك الرسوم مثلت بصورة خشنة غير متقنة جملاً وثيراناً من غير جنس البهائم الموجودة في السودان ، وهي للنقل والحمل . واخيراً نقول ان رسوم الجمل غير قليلة في الصخور الصوانية التي اكتشفها حسنين بك في واحة العوينات سنة ١٩٢٣ ، وان نيوبولد وجد تماثيل مئات من الجمال وغيرها من الحيوانات في ابي سفيان شمالي القرضبان الغربي . لكن عهدها لا يرقى الى ابعد من ١٥٠٠ او الفي سنة على ما يظهر .

وان هذه الادلة العديدة لا تلمّ بسائر ما يمكن كشفه في هذا الصدد ومع ذلك فهي برهان واضح على ان الجمل كان موجوداً منذ القدم في مصر وجنوبها وجنوبها الغربي .

ومما يستحق الذكر بعض رسوم عليها صور الجمال والبقر وهي موجودة في نقط متنائية بعضها عن بعض . ولما كان ظهورها غير منفرد بنوعه ، فلا سبيل الى اتباع رأي هان في قوله ان تماثيل اصوان الصخري تحته احد المسافرين الآتين من الساحل الشرقي للبحر الاحمر . وقد علل كرسر عدم وجود الجمل في البلاد العامرة في الزمان القديم تعليلاً مقبولاً . فانه افترض ان الجمل كان نجساً عند المصريين لما كان بينهم وبين القبائل البدوية من النفور ، فضلاً عن ان جنسه ينحط واثره يبيد في الاراضي الرطبة المكونة من رواسب المياه . فمن المعقول ان يكون الجمل قد ظلّ حتى ايام الفتح الفارسي مختصاً بالقبائل الحاميّة وحدها فقط ، وهذه القبائل كانت معادية لسكان مناطق وادي النيل الواقعة غرباً بشرق انطيو القديم او بلماير .

على ان هناك مشكلاً لم يُنظر اليه بعد وهو : كيف كانوا يقطعون

المسافات قديماً بين مصر والواحات الليبية التي خضعت منذ السلالة الثانية عشرة للحكم المصري ، بعد حملة مصر على ليبية.

قال بورخاردت : انهم كانوا يستخدمون الحيوانات لحمل الاحمال او جرّ المركبات ويسقونها من موارد الصحراء ، ومياهها موفرة لديهم اما بمناهلها واما بطرائق اصطناعية . ثم مضى الزمان وأهمل شأنها فباد اثرها . وهذا الرأي مقبول لانه منذ تناقش العلماء في شأن الآبار الارتوازية اقروا بامكان وجود ينابيع في اعماق الرمال. وقد يصح كلامهم في البلاد الواقعة على طريق القافلات القديمة بين الشرق والغرب من دقل الى كفره.

وبروقنا تذييل المقال بالابيات التالية اخذاً عن مجلة البادية (١٩٣٠ : ص ٤٨٦) وهي لقسطنطين يني ، من قصيدة لطيفة عنوانها « الجمل والطفل والحوض » ، نظمها في اليمن ، يوم كان في ضيافة الامام يحيى حميد الدين . وهي تظهر الطريقة التي لا تزال متبعة حتى اليوم في سحب المياه من الآبار ، ولعلها موروثة عن الجدود الذين كانوا يقطعون المراحل في ايام العصور الخوالي. ثم تطوّر الزمان وارتقى العالم وهي لا تزال كما كانت . . .

ايها الطفل المغني للجمل خدعة منك لكي يملي الملل ،
هو يدري أنّ من واجبه ، طيلة الايام ، انجاز العمل :
يُخرج الماء من البئر لكي يملأ الحوض ، بلا ادنى ملل ،
يتهادى سائرًا مندفعاً ، كاندفاع النحل في جني العسل ،
آملاً ان يترح الماء من البئر ، لكن خيب البئر الامل :
كلما افرغ منه جانباً ، عاد مملوءا مياهاً بالعجل .
حيّر الماء نهاه ، جاهلاً انه يأتيه من سفح الجبل .
كلما في غيره جدّ ، رأى حبله من خلفه يقفو المثل.
واذا كلّ من السير ، تلاّ الطفلُ انشادًا ينسيه الكلل.
هكذا عقل صغير قائدٌ لكبير ضخم جسم ما عقل .
انما لو انصفوه ، عرفوا انهم ، لولاه ، ما نالوا وشل .

ف. ت.